الْطَاقَـــــات الـمُهْـــــــدَرَة

بقلم

د. ظَافِرُ بْنُ حَسَنْ آل جَبْعَان

www.aljebaan.com

الطبعة الأولى
شوال – ١٤٣٣هـ
www.aljebaan.com

بسم الله الرحمن الرحيم

قال الله تعالى: ﴿ وَلَوْ أَنَّهُمْ فَعَلُواْ مَا يُوعَظُونَ بِهِۦ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ وَأَشَدَّ تَثْبِيتًا ﴿٦٦﴾ وَإِذًا لَّأَتَيْنَٰهُم مِّن لَّدُنَّآ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿٦٧﴾ وَلَهَدَيْنَٰهُمْ صِرَٰطًا مُّسْتَقِيمًا ﴾ [النساء: ٦٦-٦٨].

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمـد لله رب العـالمين، والصـلاة والسـلام علـى رسول الله وعلى آله وصحبه أجمعين وبعد:

فإن الله ﷻ خلق جميع خلقه، وأعطى كل شيء خلقه ثم هدى، ومن كمال خلق الله للإنسان أن جعل له عقلاً يعي به، وقدرة وإرادة لا تخرج هذه القدرة والإرادة عن إرادة الحي القيوم.

وعند إدراك نعمة الله على العبد من إحسانه له تصويره، وإتمامه له في عقله، وتقويمه له في ذاته، وخلقه في أحسن تقويم، فإنه يدرك أن هذه النِّعم لابد من شكر الله عليها، ومن شكر الله عليها صرفها فيما يرضى الله ﷻ من الأقوال والأفعال والمقاصد.

عندما كنت أتأمل في واقع الأمة عموماً، وفي واقعنا خصوصاً كنت أقول لماذا هذا الضعف الواضح في جميع مشاريع الأمة سواءً السياسية، أو العلمية، أو الدعوية، أو الاجتماعية، أو الاقتصادية؟! فتوصلت إلى أن الأمة لا ينقصها أعداد بشرية، ولا موارد مالية، ولا مساحات أرضية، ولا عقول فكرية، ولا إمكانات تكنولوجية، إنما ينقصها: استثمار الطاقات، والمحافظة عليها.

إنك عندما تنظر في أحوال الأمة في هذه الأيام لتدرك بعين البصر والبصيرة أنَّ الأمة تعيش أزمة طاقات مهدرة، وجهود مبعثرة، وفوضوية عارمة سواءً على مستوى السياسات العليا، أو الشعوب، أو الأفراد.

إن الحديث عن طاقات الأمة، وعما تمتلكه من إمكانات لهو غاية في الأهمية، كيف لا؟! ونحن أمة العلم والعمل، والفقه والنضج، والتقدم والرقي، والبروز والحضارة.

أمتنا هي أمة متبوعة لا تابعة، متقدمة لا متخلفة، سبَّاقة للمعالي، أمتنا ليس موضعها الساقة، إنما موضعها المقدمة؛ لكن لما حلَّ بالأمة الضعف العام، والتخلي عن بعض ثوابتها، وتمكين السفهاء من التسلط والعبث ببعض الثوابت كان له الأثر السيئ في تخلف الأمة، وكثرة تعثرها، وقلة نجاحها.

إن هذا الموضوع – حقيقة – الأصل فيأن يُناقش في مراكز الدراسات والبحوث، والمجامع العلمية،

والمنتـديات الثقافيـة، وغيرهـا ممـن يستشـعر مثـل هـذا الأمر المهم، والخطير أيضاً.

ولعل هذه المقالة ما هي إلا إشـارة - لطيفة - لهـذا الأمـر المهــم الخطيــر، لِ يَلْتَ َفـتَ إليـه أهـل التخصـص والخبـرة، وأهـل المعرفـة والنظـر، ليولـوه أهميـة قصـوى، ويسعوا في بناء ما تم بناؤه، وعلاج ما ينبغي علاجه.

وفي هذا العرض - القصيـر - سأسلط الضوء على الطاقـات المهـدرة لـدى الأفـراد، مـن حيـث أسـبابها ومسـبباتها، وأشـارك بعـد ذلـك فـي علاجهـا بإشـارات لطيفة وذلك ضمن طرح الأسباب، فأقول مستعينا بالله تعالى، مستمداً العون منه ﷻ:

أسباب هدر الطاقات يعود إلى ما يلي:

١- ضعف التربية:

إن ضعف التربية التي يتلقها الفرد هو من أعظم الأسباب التي تؤثر سلباً عليه، فينتج عنها سلبيات كثيرة من أهمها الهدر الواضح لطاقته التي ينبغي أن تستثمر فيما يعود عليه بالنفع؛ لذلك يجب علينا أن نراجع مناهجنا التربوية، وأساليبنا في تربية الأفراد وتوجيههم التوجيه السليم.

ولعل من البرامج الناضجة الناجحة التي ساهمت وبشكل جيد لحل مثل هذه الأزمة العميقة ما تبنته مؤسسة المربي -مشكورةً - في إصدارها لكتاب: " نماء " الذي يهتم بتربية النشء من الولادة إلى ما بعد

الجامعة، والاهتمام بجميع النواحي التربوية، والعلمية، والنفسية، والسلوكية لمعالجة هذا الضعف التربوي، فيقدم منهجاً مدروساً لبناء الشخصية المسلمة الناضجة المتكاملة.

٣- البيئة الضعيفة:

إن البيئة الضعيفة الهشة لا تخرج إلا مخرجات ضعيفة هشة، لا تنفع نفسها، ولا تنفع مجتمعها، ولذلك الاهتمام بالبيئات الناضجة، والناجحة هي من الأسباب المهمة لحفظ الطاقات وتوجيهها التوجيه السليم، لذلك على الفرد أن ينظر إلى البيئة العلمية، والبيئة العاملة فيجالس أهلها، ويخالط أفرادها لكي يرتقي بذاته، وينجح في توظيف طاقاته.

٣- سوء القصد:

إن سوء القصد من أعظم الأسباب المذهبة لبركة العمر، والمهدرة لجهد العبد، بل حياته كلها تضيع هدراً، ولذلك كان السلف يحرصون أشد الحرص على نياتهم، وخلوص أعمالهم لله تعالى، فآتت جهودهم ثمارها، وبلغ سعيهم تمام بنيانه، وحسن في الناس ذكرهم، وكثرة بركة علمهم؛ ولذلك من حسنت نيته بلغ مقصده، ومن ساءت نيته حُرِمَ الوصول ولو وصل، ورد عن الحسن البصري - رحمه الله تعالى - أنه قال:(رحم الله عبداً وقف عند همه، فإن كان لله

أمضاه، وإن كان لغيره تأخر[1]، فتأمل جيدًا في هذا الفقه العميق من هذا الإمام المسدد.

٤- ضعف التوجيه:

أحياناً يكون عند الفرد طاقة، ويملك قدرة على التحرك والتفكير لكنه يُبتلى بموجه ضعيف، لا يملك الأهلية في توجيه ذاته أصلاً، ثم يتسلط على من تحت يده بالتوجيه، فيؤثر ذلك سلباً على الفرد مما يفُقده بعد ذلك النجاح المرجو منه، أو يكون له إنتاجية لكنها ضعيفة ليست على ما وهبه الله ﷻ من النعم؛ وبناءً عليه فإن على الفرد أن يدرس صفات المربي الناجح، ثم يقيس ذلك الموجه والمربي على تلك

(١) أخرجه ابن أبي شيبة في المصنف(١٣/٤٩٨)، والبيهقي في شعب الإيمان(٩/٤١١).

الصفات ومن خلال التأمل يظهر له جلياً هل هذا المربي، أو الموجه موجه مناسب، أو يحتاج إلى توجيه غيره، ومناصحة سواه.

٥- قلة الخبرة:

إن قلة الخبرة مما يفوت على الإنسان كثيًرا من الفرص، ويؤخر كثيًرا من النجاحات، ولذلك فينبغي للفرد أن يهتم بالخبرات السابقة له في أي مجال، فالاستفادة من الخبرات السابقة يعتبر من أهم مقومات العمل، حيث التعرف على أدوات العمل لدى المتقدم له يوفر عليه الكثير من الجهد والوقت، ويساعد في التطوير السريع، والنجاح المستمر، فالخبرات مترابطة متراكمة، فيحرص على الاستفادة ممن سبق ليسبق.

٦- جلد الذات، واحتقار النفس:

إن جلد الذات، واحتقار الشخص لنفسه منهي عنه شرعاً، كما أن الغرور والعجب منهي عنه، وليس هذا موطن تحرير هذه المسألة لكن نريد أن نقرر أن كثيراً من الطاقات أهدرت بسبب جلد الفرد لذاته، واحتقاره لنفسه، فكم نسمع من عبارات فيها سب ونقد لاذع من بعض الأشخاص لذواتهم، وقد ينكرون فضل الله عليهم، ونعمه الوافرة لديهم.

نحن يجب أن نفرق بين جلد الذات، وبين نقد وتقويم الذات، فالأول: مذموم، والثاني: محمود، وهو الذي نريد.

وهنا أريد أن أقرر حقيقة وهي: أنه لا يوجد إنسان خلقه الله لا يحُسن شيئاً، بل كل إنسان على هذه البسيطة قد خلقه الله في أحسن تقويم، وهيئ له من الأسباب ما يجعله يحسن شيئاً من الأشياء، لكن بعض الناس قد يجحد نعمة الله عليه سواءً بجهله، أو بعدم رضاه بما قضاه الله وقدره.

ومما يجعل الفرد يحتقر ذاته أنه قد يرى غيره ممن أنعم الله عليهم بنعم أكثر منه، ويسر لهم أسباباً لم تتيسر له فيحمله الخور والعجز، والضعف والجبن إلى الاعتراض على قضاء الله وقدره، فينعكس ذلك عليه سلباً مما يؤدي به إلى أن يترك العمل بالكلية، ولذلك لما يتأمل المسلم قوله تعالى:﴿ إِنَّ سَعْيَكُمْ لَشَتَّىٰ ﴾

[الليـل:٤]، وقولـه ﷺ: «اعْمَلُوا فَكُلٌّ مُيَسَّرٌ لِمَا خُلِقَ لَهُ»[1]، يوقن أنه يجب عليه أن يعمل، وأن يستغل ما أنعم الله به عليه من النعم ليشكر الله عليها.

ولذلك جاء في دعاء القنوت الذي علمه النبي ﷺ للحسن بن علي – رضي الله عنهما – «وَبَارِكْ لَنَا فِيمَا أَعْطَيْتَ»[2]؛ فكل إنسان أعطاه الله عطاءً فعليه أن يدعو الله ﷻ أن يبارك له فيه، فليست العبرة بالكثرة، إنما العبرة بالبركة، فكم من مقل بارك الله فيه وله، وكم من مكثر لا بركة فيه ولا له، وذلك فضل الله.

---

(١) أخرجه البخاري(٤٦٦٦)، ومسلم(٢٦٤٧) عن علي بن أبي طالب ﷺ.

(٢) أخرجه أحمد (١/١٩٩)، وابن نصر في قيام الليل (ص:١٣٤)، وابن الجارود في المنتقى(ص:١٤٢)، والبيهقي في السنن(٢/٢١٠)، والطبراني في الكبير(١/١٣٠).

وهنا أنقل كلمة نفيسة للإمام مالك بن أنس ﷺ إمام دار الهجرة وهو يرد على عبدالله بن عبدالعزيز العُمَرِي العابد حينما كتب إليه يحضه على الانفراد، فرد عليه بإجابة عالم عامل فقيه فقال له:

(اعلم أن الله قسم الأعمال كما قسم الأرزاق، فرب رجل فتح له في الصلاة، ولم يفتح له في الصوم، وآخر فتح له في الصدقة ولم يفتح له في الصوم، وآخر فتح له في الجهاد، فنشر العلم من أفضل أعمال البر، وقد رضيت بما فتح لي فيه، وما أظن ما أنا فيه بدون ما أنت فيه، وأرجو أن يكون كلانا على خير وبر)[1].

---

(١) سير أعلام النبلاء(٨/١١٤).

٧- الاعتماد على الذات:

وهـذا عكـس مـا سـبق فـإن الغـرور بالقـدرات، والاعتماد على الذات، وترك الاعتماد على المنع ﷻ هو أول طريق الهلاك، وهدر الطاقات، وصدق من قال:

إِذَا لَم يَكُن عَوْنٌ مِنَ اللهِ لِلْفَتَى
فَأَوَّلُ مَا يَجْنِي عَلَيْهِ اجْتِهَادُهُ

ولـذلك فمتى اعتمـد الفـرد علـى ذاتـه، خانتـه ذاتـه وهو في أحوج الأوقات لها، ومن اعتمد على الله يسر الله أمره، وأعانه في أحرج الأوقات.

فينبغي على كل فرد مسلم أن يكثر من دعاء الله التوفيق والتسديد، والعون والتأييد، فإن الله – تعالى – إذا رأى مـن عبـده التـذلل لـه، والاعتـراف بـالعجز

والتقصير، والرغبة فيما عنده أعطاه فوق سؤله، وبلغه غاية مناه.

إن تلك الأعمال، والبرامج والمشاريع التي يقوم به الأفراد ما هي إلا فتح من الله تعالى للعبد، فمتى ظن العبد أنها من جهده وتخطيطه أمسك الله نعمه، وحرم العبد البركة والتوفيق، ولذلك يقول الله تعالى: ﴿مَّا يَفْتَحِ ٱللَّهُ لِلنَّاسِ مِن رَّحْمَةٍ فَلَا مُمْسِكَ لَهَا ۖ وَمَا يُمْسِكْ فَلَا مُرْسِلَ لَهُۥ مِنۢ بَعْدِهِۦ ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾ [فاطر:٢].

٨- التخطيط السيئ:

إن التخطيط السيئ هو التخطيط الذي يقوم على عدم وجود رؤية واضحة، ولا أهداف محددة، فيكون

مخبطاً متخبطاً ، بين المناهج والأعمال، فيضيع عمره، وتذهب طاقته هدراً.

إن الرؤية هي: أول شيء يجب على الفرد تحديده، أي ماذا أريد في النهاية؟ وما هي الغاية التي أريد أن أصل إليها؟

فالرؤية تجعل الفرد يرى غايته، ثم يصيغُ بعد ذلك أهدافه للوصول إلى غايته.

إن ضعف الرؤية الواضحة، أو عدمها لهو سبب رئيس لحرمان العامل من بلوغ ما يريد، ولذلك ينبغي أن يركز كثيًرا على الرؤية الواضحة، فإذا حدد رؤيته فإنه بعد ذلك يحدد أهدافه التي ستوصله إلى غايته

التي حددها في رؤيته، فيكون بذلك منتجاً إيجابياً في حياته.

٩- التخذيل المقيت، والتحطيم المذموم:

كم أُهدرت من طاقة؟ وكم صُدَّ كثيٌر عن كثيرٍ من البرامج الفاعلة بسبب ممارسة بعضهم لهذا الأسلوب الرديء وهو أسلوب تحطيم الغير، والنقد المحطم.

يقول لي أحدهم وهو ممن أتاه الله معرفة علم من العلوم، يقول:(عندما وفقني الله لهذا العلم وأخذت أعلم الناس بهذا العلم، كان بعضهم – وهو من يكبرني سناً – يقول: فلان أصبح من أهل هذا العلم؟! الأفضل له أن يستريح ويريح، فهو لا يصلح لشيء)، يقول صاحبنا:(فوقعت في نفسي موقعاً عظيماً ، لكن

من رحمة الله ﷻ أني لم ألتفت لهذا التحطيم المباشر، وهذا النقد المثبط، فاستعنت بالله وواصلت فيما بدأت به، وكان كلامه ذلك دافعاً لي للثبات والازدياد من هذا العلم، حتى وفقني الله لبلوغ ما بلغت فيه، وبعد مدة يسيرة إذ بصاحبي الذي ينال من قدراتي، ويقول أني لا أصلح لشيء، يتصل عليَّ، ويريد أن يستفيد مما أعطاني الله من هذا العلم، فأجبته، ثم قلت في نفسي: يا سبحان الله! لو أنني سمعت كلامه وانجرفت وراء قوله لفاتني خير كثير)، فهذه الصورة صورة لكثير من الناس المخذلين.

إن بعض الناس لا يجيد إلا فن التحطيم، والاستخفاف بالآخرين، وهنا يجب على المسلم أن لا يسخـــر من

أحد بقول، أو فعل، أو غمز، أو لمز، ويقف دائماً عند قول الحق تبارك وتعالى:﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا يَسۡخَرۡ قَوۡمٞ مِّن قَوۡمٍ عَسَىٰٓ أَن يَكُونُواْ خَيۡرٗا مِّنۡهُمۡ وَلَا نِسَآءٞ مِّن نِّسَآءٍ عَسَىٰٓ أَن يَكُنَّ خَيۡرٗا مِّنۡهُنَّۖ وَلَا تَلۡمِزُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ وَلَا تَنَابَزُواْ بِٱلۡأَلۡقَٰبِۖ بِئۡسَ ٱلِٱسۡمُ ٱلۡفُسُوقُ بَعۡدَ ٱلۡإِيمَٰنِۚ وَمَن لَّمۡ يَتُبۡ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴾ [الحجرات: ١١].

أخي المبارك: لتعلم أن التخذيل من أعظم صفات المنافقين، فهم يخذلون ويحطمون أهل الإسلام، فهم أكثر الناس شكاية، وأكثرهم خوراً وتخذيلاً لغيرهم،

ولذلك هم أفشل الناس، وأكذب الناس، ويريدون من جميع الناس أن يكونوا مثلهم.

وهنا أوجه رسالة لكل فرد: إذا سمعت مثل هذه العبارات المحطمة، ولاحظت التحطيم المقيت فلا تلتفت لمثل هذه الأقاويل المثبطة، وهذه الأساليب المحطمة، بل عليك أن تمشي واثق الخُطى، مستعيناً بالله تعالى، متوكلاً عليه، فإنك ستصل إلى غايتك، وستبلغ مُناك، فبشيء من الصبر واليقين، والبذل والتضحية، يدرك المرء مراده، ويحقق مبتغاه، وهناك تذكر عبارتين واجعلهما أمام عينيك: الأولى:(رضا الناس غاية لا تدرك) فلا تحرص عليه؛ والثانية:(من راقب الناس مات هماً) فراقب الله تعالى.

١٠- استعجال النتائج:

إن مما يهدر كثير من الطاقات، ويفسد كثيًرا من البرامج، ويعطل كثيراً من الأعمال، هو: استعجال النتائج؛ إن النتائج السريعة والعاجلة في تحقيق الأمور بأنواعها لا يكون في غالب التقدير الإلهي؛ بل التقدير الكوني يدل على أن الحياة الدنيا مرحلة تحتاج إلى تدرج، ولهذا كان الشارع الحكيم لا ينظر فقط إلى ما يمكن أن يعمله الإنسان الآن؛ وإنما ما يستقيم عليه ويعمله باستمرار.

وحين ننظر في جوانب التشريع والطلب: نرى التوازن بين العمل الحاضر والاستمرارية عليه، ويدل لذلك ما جاء من حديث عائشة - رضي الله عنها -

أن النبـي ﷺ دخـل عليهـا وعنـدها امـرأة فقـال: «مَنْ هَذِهِ؟» قَالَت: فُلاَنَةُ. تَذْكُرُ مِنْ صَلاَتِهَا. قَالَ ﷺ: «مَهْ عَلَيْكُمْ بِمَا تُطِيقُونَ، فَوَاللَّهِ لاَ يَمَلُّ اللَّهُ حَتَّى تَمَلُّوا»، وَكَانَ أَحَبَّ الدِّينِ إِلَيْهِ مَا دَامَ عَلَيْهِ صَاحِبُهُ[1].

فنجد هذا الحديث وغيره أنه حتى في أمور العبادة لابد من الاقتصاد في فعلها؛ وعدم الاستعجال، حتى لا يكون الانقطاع، وترك الاستمرارية مصيرها، فعلى الفرد عدم استعجال النتائج وإن طال الزمن، فعليه بالمثابرة على العمل والاستعانة على وعثاء الطريق بطول الصبر، وحسن التأسي برسول الله ﷺ، وصدق الاعتماد على الله ﷻ فإنه طريق النجاح والفلاح، يقول ﷻ: ﴿إِنَّهُۥ مَن يَتَّقِ

(١) أخرجه البخاري (٤٣).

وَيَصۡبِرۡ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجۡرَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ﴾

[يوسف: ٩٠].

١١- الفوضوية في الوقت:

إن الـذي لا يرتـب وقتـه حسـب الأولويـات فإنـه سيضيع بين كثرة المشاغل، وبين تداخل المواعيد، ولن ينجز شيئاً، إن الفوضوية في الوقت تتسبب في تراكم الأعمـال، والواجبـات، والمهمـات دون القـدرة علـى إنجازها في الزمن المفترض، وهذا يشكل عبئاً نفسياً يؤدي إلى تأثر نشاط الفرد، ويحمله بعد ذلك على ترك العمـل، ولـذلك ترتيـب الوقـت وتنظيمـه حسـب الأولويات الهامة، ثم المهمة ثم ما بعدها، وإعطاء كل ذي حق حقه مما يساعد على الإنتاجية، ونجاح العمل.

١٢- عدم الإفادة من الأخطاء السابقة:

إن كثيًرا من المواقف التي تهدر فيها الطاقات هي أخطاء متكررة، ولو تأمل العامل في أخطاء من سبقه، أو في أخطائه هو ثم لا ينتفع من أخطائه، فإن ذلك مدعاة لتكرر الخطأ، وهدر الطاقة، وضياع الوقت، فعلى الفرد أن يفيد من أخطائه، وأن لا يكررها، ولذلك النبي ﷺ يقول:«لاَ يُلْدَغُ الْمؤْمِن مِنْ جُحْرٍ وَاحِدٍ مَرَّتَيْنِ»[١].

١٣- العجز والكسل:

إن كثيراً من الناس قد تتوفر لهم جميع الوسائل المعينة لأن يستثمروا طاقاتهم، ويحققوا رغباتهم، لكن

(١) أخرجه البخاري(٥٧٨٢)، ومسلم(٢٩٩٨) عن أبي هريرة ﷺ.

يحجـزهم عـن اسـتثمار طاقـاتهم، وقـدراتهم العجـز والكسـل؛ ولـذلك اسـتعاذ منـه النبـي ﷺ لخطورتـه فقال: «اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنَ الْعَجْزِ وَالْكَسَلِ»[1].

إن العجز والكسـل قـد صَـدَّا كثيـراً مـن النـاس عـن معـالي الأمـور، ولـذلك يقـول ابـن القـيم – رحمـه الله تعـالى –: (مـن نـام على فـراش الكسـل، أصبح ملقى بوادي الأسف)[2].

١٤- ضعف الهم والهمة:

إن ضعف الهمة، ودنوها وسُفْلِهَا تفوت على الفرد مصـالح عليـا، وتضـيع طاقتـه، وتفسـد عليـه حياتـه، ولذلك يقول أمير المؤمنين عمر بن الخطاب ﷺ: (لا

(١) أخرجه البخاري (٢٦٦٨)، ومسلم(٢٧٠٦) عن أنس ﷺ.

(٢) بدائع الفوائد (٢/٢٣٤).

تصغرنّ همتك فإني لم أر أقعد بالرجل من سقوط همته)[1]، ويقول المتنبي:

وَلَمْ أَرَ فِي عُيُوبِ النَّاسِ عَيْبَاً
كَنَقْصِ الْقَادِرِيْنَ عَلَى الْتَّمام

إن النفوس الشريفة لا ترضى من الأشياء إلا بأعلاها، وأفضلها، وأحمدها عاقبة، والنفوس الدنيئة ترضى من الأشياء بالدنيء، فتكون كالذباب الذي لا يقع إلا على القذر.

١٥- عدم انتهاز الفرص:

إن ترك الفرص تفوت، وعدم انتهازها يؤخر الفرد تأخيراً عظيماً، بل قد يحرمه من خير عظيم، ويكون

---

(١) محاضرات الأدباء للأصفهاني(ص:١٠٨).

سـبباً لهـدر طاقتـه، وذهـاب عمـره، وإن عـدم انتهـاز الفرص يعود لأمرين:

الأول: عدم التصور الواضح لما يريد الفرد أن يقوم به ويعمله، فلذلك تمر عليه الفرصة فلا ينتبه لها، ولا يشعر بأنها فرصة ثمينة إلا بعد ذهابها.

الثاني: الكسـل: وكـم ضـيع الكسـل على كثيـر مـن الأفراد الفرص الثمينة، فيحمله كسله على ترك العمل، وعـدم الاسـتفادة ممـا يُعـرض لـه، ولـذلك يقـول ابـن الجـوزي – رحمـه الله تعـالى –: (إيـاك والتسـويف فإنـه أكبر جنود إبليس)[1].

وهنا أذكر مثالاً فيه انتهاز للفرص، فكانت نتيجة ذلك التصرف هو: فوزٌ لهذا المستغل لهذه الفرصة فوزاً عظيماً، إن الفرصة كانت من النبي ﷺ، والمنتهز

---

[1] صيد الخاطر(ص:١٩٣).

لها هو ربيعة بن كعب الأسلمي ﷺ، يقول ربيعة ﷺ: كُنْتُ أَبِيتُ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَأَتَيْتُهُ بِوَضُوئِهِ وَحَاجَتِهِ فَقَالَ لِي: « سَلْ »؛ فَقُلْتُ: أَسْأَلُكَ مُرَافَقَتَكَ فِي الْجَنَّةِ. قَالَ: « أَوَ غَيْرَ ذَلِكَ؟ ». قُلْتُ: هُوَ ذَاكَ. قَالَ: « فَأَعِنِّي عَلَى نَفْسِكَ بِكَثْرَةِ السُّجُودِ »[1]؛ فهذا كعب ﷺ استغل واستثمر هذه الفرصة فكانت ثمرة استثمار هذه الفرصة: الفوز بالجنة، وليس الجنة فقط بل مرافقة النبي ﷺ فيها.

وبعد هذا العرض: فإن هذا الموضوع مهم للغاية كما أسلفت في أوله، وإن ذكر الأسباب والعلاج كان على عجل، وإلا كل واحد من هذه الأسباب يحتاج إلى طرح مستقل وبحث مطول، لكن كان المقصود

(١) أخرجه البخاري(٤٤١٨)، ومسلم(٤٨٩).

الإشـارة لا الإطالـة، والتنبيـه لا الإسـهاب، ويكفـي مـن القلادة ما أحاط العنق، واللبيب بالإشارة يفهم.

وختاماً: ما أجمل أن نقف مع هذه الآية وقفة تدبر وتأمل، وعظة وتفكر، ويكون انطلاق أهل الطاقات من خلالها يقول الله ﷻ: ﴿وَلَو أَنَّهُمۡ فَعَلُواْ مَا يُوعَظُونَ بِهِۦ لَكَانَ خَيۡرًا لَّهُمۡ وَأَشَدَّ تَثۡبِيتًا ۝٦٦ وَإِذًا لَّأٓتَيۡنَٰهُم مِّن لَّدُنَّآ أَجۡرًا عَظِيمًا ۝٦٧ وَلَهَدَيۡنَٰهُمۡ صِرَٰطًا مُّسۡتَقِيمًا﴾ [النساء: ٦٦-٦٩].

أسأل الله أن يوفقنا لطاعته، وأن يعيننا على مرضاته، وأن يعلق قلوبنا به، وأن لا يكِلَنا إلى أنفسنا طرفة عين ولا أقل من ذلك إن ربي سميع مجيب، والحمد لله رب العالمين.

الفهرس